

الخطاب المغالطي من المنظور التداولي الجدلي

Fallacious discourse from a deliberative and dialectical perspective

عبد الغاني تريكي*

جامعة عباس لغرور خنشلة

triki.abdelghani@univ-khenchela.dz

تاريخ القبول: 2023-12-31

تاريخ الإرسال: 2023-09-21

ملخص:

يعدّ الخطاب المغالطي فنّ الهروب من الحقيقة يتسلح صاحبه بأدوات تتيح له ممارسة كل أنواع التضليل والتزييف وإخفاء الحقائق، ويوصفه خطابا مشكلا من جمل أولية أو أفعال كلامية، فهو خطاب يحتوي على افتراضات فكرية وأنساق مضمرة تختفي وراء الدلالات اللغوية، الأمر الذي يجعل منه بنية نسقية متميزة عن باقي الخطابات المتداولة، وتكمن نسقيته في كونه خطابا حجاجيا فاسدا واستدلالات لا غير سليم يفترض فيه وجود متكلم ومتلق وفي نية المتكلم التأثير في المتلقي. إنّ المحتوى اللساني للخطاب المغالطي يرمي إلى إفحام الخصم وإسكاته؛ وبالتالي يهدف إلى أن يسلم به المتلقي وإقناعه بنتيجة ما رغم كونه خطابا غير عاقل ينتج عن عزل الفكرة إمّا عن سياقها الفكري أو الواقعي واللعب على أوتار الحجاج، والمتأمل في هذا الخطاب يتبين له أنّه يصدر من متكلم انتهازي لا يقيم وزنا للقيم والمثل ويعجز عن صياغة الحجج الدامغة وكل ذلك من قبيل العبث والتحايل باللسان والمشاعبة السفسطائية التي هي نوع من الممارسة الفكرية المنحرفة، وهي أيضا خرق للقواعد الحوارية الأخلاقية؛ إذ يعدّ الخطاب المغالطي انزياحا جزئيا في المعنى يعتري الخطاب وهو ما يعرف بالمغالطات.

الكلمات المفتاحية: مغالطة؛ حجاج؛ استدلال؛ خطاب؛ تضليل.

Abstract:

The fallacious discourse is the art of escaping from the truth, armed with tools that allow him to practice all kinds of misinformation, falsification and concealment of facts, and as a speech formed from initial sentences or from any verbal act, it is a speech that contains intellectual assumptions and implicit patterns that hide behind linguistic semantics, which makes it a distinct structural structure from the rest of the circulating discourses, and its consistency lies in being a corrupt argumentative discourse and improper inference in which the presence of a speaker and a recipient is assumed and the speaker's intention is to influence the recipient. The linguistic content of the fallacious discourse aims to smother and silence the opponent, and therefore aims to be

recognized by the recipient and convince him of a result, despite the fact that it is an irrational speech that results from isolating the idea either from its intellectual or realistic context and playing on the strings of arguments, and the meditator in this speech turns out that it comes from an opportunistic speaker who does not weigh values and ideals and is unable to formulate irrefutable arguments, all such as tampering and circumventing the tongue and sophistic riot, which is a kind of intellectual practice. Deviant, which is also a violation of ethical dialogic rules, as fallacious discourse is a partial shift in meaning in the discourse, which is known as fallacies..

Keywords: fallacy. Arguments. Inference. Discourse. Misinformation.

1-مقدمة

تقوم هذه الدراسة على تسليط الضوء على نماذج من المغالطات التي يبتغي من خلالها المحاجج الإيقاع بخصمه وإرباكه باستخدام حيل لغوية ترتكز على الاستغلاق والتمويه وإثبات الذات وتبكييت دعوى الطرف الآخر وتسفيمها، هي في النهاية استنباطات غير متفقة مع المقدمات يستخدمها المغالطون لمحاولة التأثير على الغير في كل المجالات وتصديقها في أحيان أخرى. وتأتي أهمية العلم بالمغالطات إلى كيفية التصدي لها بإظهار الحقائق وتأكيدھا؛ أي إثبات فكرة ما بإثبات أن نقيضها يقود إلى نتيجة باطلة، فهي تقنية لامعة تقوم على استمالة الجمهور والتأثير عليهم حصولا على تأييدهم. ولأجل هذه الدراسة طرحت جملة من التساؤلات كالآتي: هل أكون على حق في رمي ادعاءات غير صحيحة عن الآخرين علنا (مغالطة الشخصنة)؟ إلى أي حد تكون العديد من المنحدرات التي يتم تحذيرنا منها باستمرار منزلقا بالفعل (مغالطة المنحدر الزلق)؟ ما مدى تأثير الانحرافات المنطقية على سلوكيات مجتمع ما؟ واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي المناسب لهذا الموضوع، وعليه قمت بانتقاء جملة من المغالطات التي تبين جملة من الأفكار الخاطئة والغامضة يمكن أن تولد انزلاقات في الاستدلال وكيف يمكن مواجهتها والرد عليها، وختمت المقال بجملة من النتائج لعل أبرزها أن تلك الحيل الكلامية المقترنة بالتضليل لا تقتصر على الحقبة اليونانية بل لا تزال إلى اليوم مع تطور وسائل الاتصال، فالمغالطات تحاصرنا في كل آن ومكان تُستعمل بتمظهرات مختلفة مكتوبة أو مقروءة وسط الصراع المعلوماتي الذي نعيشه اليوم أغلبها يكون مضللا يقوم على القياسات المموهة التي لا تثبت شيئا، غايتها الإفحام والتسلط على المخاطب من أجل التغلب عليه ومضايقته والاستهزاء به.

2- المغالطة والالتباس

إنّ التعريف التقليدي للمغالطات هو "تلك الأنماط من الحجج الباطلة التي تتخذ مظهر الحجج الصحيحة".⁽¹⁾ وقد برز هذا النوع من الاستدلالات في بادئ الأمر عند السفسطائيين الذين حاولوا فرض آرائهم على الشعب الأثيني، وادّعوا أنّهم معلمو الحكمة، وما امتازبه هؤلاء هو تقديسهم للكلمة وتلاعيمهم بالألفاظ دون مراعاة للمعنى، ويبقى الشيء المحوري في هذه الخطابات أنّ الحجج التي تسعى إليها ليست كلها حججا سليمة، فقد تكون مجرد ادّعاءات أو مزاعم غير مدعومة يسعى المحاجج من خلالها إلى تمرير مواقفه لتغيير اعتقادات الآخرين، لكن أهميتها لا تتوقف عند هذا الحد، فقد نكون جميعا مذنبين باستخدامها من حين إلى آخر بعلمنا حيناً (غلط مقصود) أو دون علمنا أحيانا أخرى (غلط عفوي).

إنّ الغلط المقصود يكون إحداثه مقصودا بوصفه استراتيجية للتّضليل عن طريق تزييف العبارة التي تخفي ادّعاء ملتبسا، وإذا نشأ الالتباس عجز الذهن عن التمييز بين عناصر الشئيين و لاحتمل الكلام لأكثر من معنى، "والأمر إنّما أن يلتبس على المدرك وإمّا أن يكون ملتبسا بنفسه، لاختلاط عناصره بعضها ببعض فإذا نشأ الالتباس عن اختلاط العناصر، كاختلاط ماء الجدول بماء النهر الذي ينصبّ فيه، كان التباسا حقيقياً، وإذا نشأ عن عجز الذهن عن التمييز بين عناصر الشئيين كان التباسا ذهنيّاً".⁽²⁾ وقد يكون الالتباس وظيفياً كورود النص الواحد متضمّناً محورين اثنين أو أكثر، وتعدّد المحاور هذا يؤدي إلى تعدّد إحالات الضمائر، ونمثل لهذا النوع من الالتباس بالمثال التالي: "قَالَ مُعَاوِيَةُ لِعُقَيْلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: إِنَّ عَلِيًّا قَدْ قَطَعَكَ وَأَنَا وَصَلْتُكَ، وَلَا يُرْضِيَنِي مِنْكَ إِلَّا أَنْ تُلْعَنَهُ عَلَى الْمُنْبَرِ. قَالَ: أَفْعَلُ. فَصَعِدَ الْمُنْبَرُ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَنْ حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ قَدْ أَمَرَنِي أَنْ أَلْعَنَ عَلِيًّا بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَالْعَنُوهُ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، ثُمَّ نَزَلَ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ:

1- عادل مصطفى، (د ت)، المغالطات المنطقية طبيعتنا الثانية وخزنها اليومي، فصول في المنطق

الصوري، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص17.

2- جميل صليبا، (1982)، المعجم الفلسفي، مج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص116.

إِنَّكَ لَمْ تَبَيِّنْ مَنْ لَعَنْتَ مِنْهُمَا بَيِّنُهُ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا زِدْتُ حَرْفًا وَلَا نَقَصْتُ حَرْفًا، وَالْكَلَامُ عَلَى نِيَّةِ الْمُتَكَلِّمِ".⁽³⁾

وقد وقع الالتباس أي الاشتراك في الإحالة في الضمائر التابعة للكلمات ((الْعَنُوهُ، عَلَيْهِ) من حيث إنَّها يمكن أن تعود على المحور الأول (معاوية) وإمّا على المحور الثاني (علي) ممّا من شأنه أن ينتج بنتين تحتيتين يمثل في أولاهما الضمير العائد على (معاوية) الوظيفة التداولية (المحور) وهي الوظيفة نفسها التي يشغلها الضمير العائد على (علي)، واختفاء مفسر الضمير في العبارة يمكن أن يكون مقصودا في هذا الموقف التواصلية، (فحقيل) لم يعيّن الشخص الملعون صريحا، وبالتالي تحمل مسؤولية قوله، فالتلفظ هنا يعمل على الغموض بدلا من التوضيح، وعليه "تكون الجملة ملتبسة في سياق ما حين تتعدد طرق تأويلها في السياق المعطى، أي تكون هناك أكثر من قضية يمكن أن تعبّر عن الجملة في هذا السياق".⁽⁴⁾

وإذا كان الحجاج استدلالا غير صوري وغير ملزم، في مقابل الاستدلال المنطقي ذي المنهج النسقي الذي لا يقبل الطعن لأنّه قائم على الترتيب المنتظم والدقة، فإنّ المغالطة paralogisme بتأرجحاتها وألاعيبها اللفظية استدلال يصيبه خللٌ بسبب عدم الالتزام بقواعد المنطق، و"المغالط المتوسل باللغة يعتمد إلى أساليب منها التعقيد اللفظي بجعل الكلام خفي الدلالة على المعنى المراد به، أو أن تكون الألفاظ غير مرتبة وفق ترتيب المعاني، أو باعتماد الألفاظ المشتركة الملتبسة وغير ذلك من السبل، أما التغليف بطرق خارج لغوية فقد تتحقق بأساليب عدة كأن نعدّم مثلا إلى إثارة العواطف والأحاسيس والشفقة أو بالطعن في شخص الخصم عوض إبطال أقواله. وغالبا ما تحاول الحجج التي

3- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الأندلسي)، (1983)، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيني، ج 4،

ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص114.

4- تريسي بويل، جاري كمب، (2015)، التفكير النقدي دليل مختصر، تر: عصام زكريا جميل، ط1،

المركز القومي للترجمة، القاهرة، ص61.

تقوم على هذا النوع من الأساليب توجيه انتباه المخاطب أو المستمع إلى عناصر خارجة عن المجال الذي يدور في الحوار".⁽⁵⁾

3-المغالطة المصطلح والمفهوم

3-1- المغالطة لغة

المغالطة من الغلط خلاف الإصابة.⁽⁶⁾ وقد جاء في المعجم الوسيط: غَلِطَ غَلَطًا: أخطأ وَجْهَ الصَّوَابِ، الأغلُوطَةُ: مَا يُغْلَطُ فِيهِ أَوْ مَا يُغَالَطُ بِهِ مِنَ الْكَلَامِ الْمُبْهِمِ.⁽⁷⁾

وورد في المعجم الفلسفي: المغالطة من الغلط، وهو الخطأ والضلال، تقول غَلِطَ في الأمر، لَمْ يَعْرِفْ وَجْهَ الصَّوَابِ فِيهِ.⁽⁸⁾

وعموماً يدل مصطلح المغالطة حسب المعاجم اللغوية العربية إلى الإيقاع في الغلط مع القصد إلى ذلك، ومعناها الاستدلال الزائف، والشخص المغالط هو شخص مموّه وبارع في تحريف الكلام.

3-2-المغالطة اصطلاحاً

أما المغالطة اصطلاحاً فقد عرفت بتعريفات عديدة، فهي عند أرسطو "استدلال صحيح في الظاهر معتلّ في الحقيقة".⁽⁹⁾ ويعرفها باتريك شارودو: "أنّها خطاب محرج،

5- حسان الباهي، (2004)، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص178.

6- ابن فارس (أبو الحسن بن زكريا)، (1979)، مقاييس اللغة، تج: عبد السلام محمد هارون، ط1، ج4، دار الفكر، القاهرة، ص390.

7- إبراهيم أنيس وآخرون، (2004)، المعجم الوسيط، ط1، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ص658.

8- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، مج2، مرجع سابق، ص129.

9- أرسطو، (1990)، منطق أرسطو، تج: عبد الرحمن بدوي، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان، وكالة المطبوعات الكويت، ص489.

كاذب تلاعبى، ومخطر، يتقبل على أنّه خاطئ بداهة، لكنّه عسير الدّحض".⁽¹⁰⁾ وقد جاء في ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال: "إذا كانت مقدمات الحجة قائمة على خطأ غير مقصود فهي (غلط) من الغلط، وإذا كانت قائمة على خطأ مقصود مغلف بما يوهّم أنّه حقّ، من أجل التّمويه والتضليل، فهي (مغالطة) من المغالطات والغرض منها إبطال الحقائق..."⁽¹¹⁾

وتجمع التعريفات السابقة على أنّ المغالطة نوع من الاستدلالات الفاسدة غايتها الإيقاع بالخصم باستخدام مختلف الحيل التي تنوي من خلالها صرفه عن الهدف الحقيقي، وبالتالي تصاغ بها معطيات تجعلنا نتوهم أنّها صحيحة، أي "أنّ القول المغالط ينبني على مقدمات مدسوسة بأمور توهم بأنها حقيقة، أو توهم بأنها مشهورة دون أن تكون كذلك، ويتوخى المغالط هزم خصمه سائلاً كان أم مجيباً، بأن يجعله عاجزاً عن تحديد مكنى الصدق أو الكذب".⁽¹²⁾ وذلك هو الحوار المموّه أو الجدل المرائي أو المشاغبي بتعبير شوينهاور، إذ يقول: "إنّ الجدل المرائي هو من المماحكة سبيله أن يجعلنا دائماً على صواب؛ أي بما هو مشروع وغير مشروع؛ أي بجميع الوسائل المتاحة".⁽¹³⁾ ونتيجته في كل الأحوال الغلبة وهزيمة الآخر. ويتوجب على المحاجج من خلال المناظرة أن يعرف ما هي حيل الخداع التي يستخدمها المحاور، ومعرفته بها تخلصه من الفخاخ القولية التي ينصّبها له، كما يتوجب عليه امتلاك التفكير النقدي، وفهم العلاقة المنطقية بين الأفكار المطروحة، لأنّ التفكير النقدي يحرره من الأغاليط، فعندما نطرح قولاً من قبيل: المال أصل الشّر ويبدأ المرء بتفكيك المشكلة وتحليلها وربطها مع حقائق وتجارب من الواقع،

10- باتريك شارودو، دومينيك منغنو، (2008)، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القاهر المصري، حمادي صمود، (د ط)، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ص522.

11- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (1975)، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط1، دار القلم، بيروت، ص313.

12- حافظ إسماعيلي علوي، (2011)، التداوليات، علم استعمال اللغة، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص381.

13- آرثور شوينهاور، (2014)، فن أن تكون دائماً على صواب، تر: رضوان العصبية وحسان الباهي، ط1، دار الأمان، الرباط، ص31.

فمن الممكن أن يصل إلى قناعة بإعمال آلية النقد، وبتحويل القول بطريقة إيجابية إلى أن ذلك غير صحيح وأن المال وسيلة للوصول إلى السعادة، وبالتالي يكون النقد مهارة فكرية توصل إلى الأفكار الصحيحة، وفي غياب تفكير نقدي نكون رهائن للمؤثرات المحيطة بنا، ولا يسعنا إلا أن نقبل أطروحات مغلوطة يصعب ردّها ودحضها. وفي هذا السياق يقول نيل براون: "والعاجز عن التفكير بطريقة نقدية عاجز عن اتخاذ قرارات عقلانية؛ والعاجز عن اتخاذ مثل هذه القرارات يتوجب ألا يترك طليق السراح، فكونه يتصرف بطريقة غير مسؤولة إنّما يعني أنّه يشكل خطرا على نفسه وعلى الآخرين".⁽¹⁴⁾ وبالتالي تصبح الأخطاء في التفكير انحرافات لا عقلانية وإدراكها يحدث فارقا كبيرا في طريقة التفكير، ومن الأخطاء المتصلة بهذا النوع من التفكير اتصالا وثيقا ما يوضحه المثال التالي: الجميع يفعلون ذلك (تبييض الأموال مثلا)، فلنعمل كما يعمل الجميع. وعندما نفكر بهذه الطريقة فإننا نكون مخطئين، فهذا الاعتقاد ليس صحيحا، فالتوسل بالأكثرية مغالطة منطقية *appeal to people* تتضمن "الاحتكام إلى الناس بدلا من الاحتكام إلى العقل، ومحاولة التصديق على فكرة معينة بإثارة مشاعر الحشود وعواطفهم بدلا من تقديم حجة منطقية وصائبة".⁽¹⁵⁾ والركون إلى الأحكام السائدة أو العواطف الرائجة افتراض أغلوطي يعوق الفاعلية الحجاجية ويعطل طاقتها وليس الهدف منها سوى تحقيق منافع ذاتية، بعيدة عن المنطق السليم، ولا تسعى إلا إلى تحقيق غايات بسلطة القول.

وانطلاقا من ذلك تتعدّد أشكال وصور الخطاب المغالط، حيث تتحكم فيه عوامل تداولية ونفسية واجتماعية، وفيما يلي عرض مركز لأهم الخطابات المغالطة التي يتخذها المغالطون وسيلة للتعمية والتمويه، والتي نتعرض لها كل يوم في حياتنا ولكننا لا ندرکها.

14- م. نيل براون وستيوارت م. كيللي، (2009)، طرح الأسئلة المناسبة "مرشد للتفكير الناقد"، تر: نجيب الحصادي ومحمد أحمد السيد، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ص25.

15- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، مرجع سابق، ص98.

4- صور المغالطات

1-4- الشخصية Getting personal

هي من أفدح المغالطات التي يرتكها المحاور، "إمّا برفض الفكرة المعروضة بدعوى اتّصاف عارض هذه الفكرة ببعض الخصال المناسبة أو بدعوى خضوعه لظرف خاص يتحكم فيه ويضطره إلى الدفاع عن هذه الفكرة.⁽¹⁶⁾ ويبدو هذا النوع من المغالطات سيء الاستخدام كونه نقدا لادّعاء ما بمهاجمة المدّعي بدلا من نقاش الحجة التي يقدمها أو تنفيذ قوله بالحجج والأدلة المنطقية، كأن تقول الأم: كيف لي أن أثق برأي طبيب الأطفال حول صحة ابني؟ فهو رجل لا يعرف شعور الأمومة، وفي هذا المثال لم تقدم الأم أية حجة مفيدة ضد ما يقوله الطبيب، إنما ترفض ما يقوله لمجرد كونه رجلا.

وقد عرف جون لوك J.Locke هذه المغالطة في كتابة مقال في الفهم البشري (essay concerning human) بقوله: "والطريقة الثالثة هي أن تهاجم شخصا من خلال النتائج المستخرجة من خاص مبادئه أو تنازلاته".

"A third way is to press a man with consequences, draw from his own principles or concessors".⁽¹⁷⁾

وهي عند فيرنوليول J.Verniolle: "قياس إضماري تعتمد فيه أقوال الخصم وأفعاله لهزمه والقضاء عليه".

l'argument personnel qu'on appelle aussi argument ad hominem "est une sorte d'enthymème où l'on se sert des paroles ou des actes l'adversaire pour le combattre et l'écraser".⁽¹⁸⁾

16- رشيد الراضي، (2010)، الحجاج والمغالطة "من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار"، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، ص19.

17- John Locke, (1889), an essay concerning human unders tanding, the sixteenth edition, volume II, , London, p306.

18- M.L'ablé, J.Veriolles, (1866), cours élémentaires de rhétorique et d'éloquence, cinquième édition, libraire éditeur, Paris, p34.

وهذا تكون الحجة على الشخص هي التجريح أو المسّ بشخص المحاور والتركيز على مثالبه (الفكرية، الوجدانية، السلوكية)، أي أننا ننصرف عن أقواله ونطعن في شخصه، هي إذن هجمات شخصية لا علاقة لها بموضوع المجادلة.

وتظهر هذه المغالطة في أسلوب قريش في مهاجمتهم للرسول صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى على لسان قريش: "قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ".⁽¹⁹⁾ إنّ هذه الأقوال الشنيعة (سَاحِرٌ، مَجْنُونٌ) صفات مجرّحة لأنّ قريش تركت الاستدلال وتوجهت إلى المستدل، أي تركوا الدين الذي جاء به واتهموه بالسحر والجنون والشعر، وهذا الشكل قائم على الإقصاء والرفض أو ما يسمى بالعنف الخطابي، وهو "نمط يسود فيه الهجوم المطبوع بنوع من العنف، ويكثر فيه تحريك العواطف وحشد الحجج كيفما كانت وبأي وجه كان، ويطن في الاتهام المتبادل ويقلّ فيه التعقل والاتزان، لأنّ الهدف الذي يوجّهه هو مجرد الرغبة في قهر الخصم وإلجائه".⁽²⁰⁾ ومثال ذلك أن يقول مدير لموظف معه في الشركة: أنت غير قادر على تطوير مهامك وقدراتك في العمل؛ لأنك ضعيف الشخصية وتملك تاريخاً حافلاً بالسوابق والمشاكل، فهو لم يقيم الموظف بناء على قدراته الوظيفية بل بناء على أحواله الشخصية. "إنّه هجوم على الشخص بدلاً من التعامل مباشرة مع مبرراته".⁽²¹⁾ حيث تبرز ثقافة الاتهام وتقزيم الآخر برؤية أحادية ونظرة إقصائية، و"الحق أنّك قد تسدد سهام النقد إلى شخص خصمك، فتُدْمِيهِ وتُصْمِيهِ وحُجَّتُهُ بعدُ حَيَّةٌ تُزْزِقُ، في من حيث هي حجة تبقى سالمة لم يمسسها سوءٌ وإن حامت حولها الشكوكُ لحظةً واكتنفها الريب".⁽²²⁾ والصورة المنطقية لهذا النوع من المغالطات تكون كالآتي:

مقدمة 1: (س) يقدّم الدعوى (ق).

مقدمة 2: (س) يتّصف بالعيب (ك).

19- سورة الذاريات، الآية 52.

20- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، مرجع سابق، ص 113.

21- م. نيل براون، ستيوارت م. كيلى، طرح الأسئلة المناسبة "مرشد التفكير الناقد"، مرجع سابق، ص 178.

22- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، مرجع سابق، ص 69-70.

نتيجة: إذن الدَّعوى (ق) باطلة.

أما كيفية التعامل مع هذه المغالطة، فليس هناك أحكم من كتاب الله "وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا".⁽²³⁾ أي أَنَّ الحكمة تقتضي عدم تبادل الإساءة وإنما سدادُ في القول مع حسن الظَّنّ والتماس الأعذار للخصوم، والمدافعة الوحيدة هي تلك التي أشار إليها أرسطو في الفصل الأخير من الطوبيقا: "لا تتجادل مع أيِّ شخص كان، لكن فقط مع أناس تعرفهم وتعلم أنَّهم عقلاء كفاية".⁽²⁴⁾

2-4- تسميم البئر poisoning the well

يعود أصل هذه المغالطة إلى ممارسة تسميم البئر في الحروب القديمة حتى يتم إضعاف قوة الجيوش الغازية، وما يميّز تسميم البئر عن الشخصنة هو أَنَّ التسميم يتمّ مقدما، أي قبل أن يأخذ الخصم فرصة لعرض قضيته ويكون له تأثيرٌ عظيمٌ على مسار الجدل.⁽²⁵⁾ وهي بذلك هجوم استباقي يقوم به المجادل قبل أن يبدأ النقاش، أي قبل أن تتاح للخصم فرصة التعبير عن رأيه، كأن يقال مثلا: لا تستمع إلى هذا الشخص، فقد دخل السجن مرات عديدة في قضايا أخلاقية، أو في مثل: هؤلاء الجهلة الأغبياء وحدهم سوف يعترضون على المشروع الذي سأعرضه عليكم، أو في مثل قول قائل: هذا رجل متخلف معروف، وأي رأي يبدو منه سيكون محلّ ارتياب، ويصبّ في مصلحة المنافسين في نهاية المطاف. ومن مغالطات تسميم البئر ما ورد في محاولة الصحابي عمرو بن العاص قبل إسلامه، في جملة استباقية ضد الوفد الإسلامي لتدفع النجاشي إلى قتل المسلمين لا أن يردّهم إلى مكة، وهذه محاولة أرعبت حتى صاحبه عبد الله بن أبي ربيعة رفيقه في السفر، وقد ردّ عليه: "لَا تَفْعَلْ فَإِنَّ لَهُمْ أَرْحَامًا وَإِنْ كَانُوا قَدْ خَالَفُونَا".⁽²⁶⁾

23- سورة الفرقان، الآية 63.

24- آرثور شوبنهاور، فن أن تكون دائما على صواب، مرجع سابق، ص83.

25- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، مرجع سابق، ص84.

26- أبو عمر محمد عبد الله الزغبى، (2011)، أصول المناظرة وروائع المناظرات، ط1، دار التقوى، القاهرة، ص78.

وعلى هذا، فقد زوّد عمرو بن العاص النجاشي بمعلومات ضد خصمه (المسلمين) ولم يهدأ له بال إلا بتسميمه للأجواء بقوله: "أَيُّهَا الْمَلِكُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ فِي عَيْسَى بْنِ مَرْيَمَ قَوْلًا عَظِيمًا".⁽²⁷⁾ ويأتي هذا الهجوم في صورة ضربة استباقية ضد الخصم، وتشويهه وتقديم ادّعاءات سلبية غير ضرورية إلى النجاشي، ولكنّه خرج من عنده مقبوحًا مردودًا على ما جاء به، "فأن تسمّم بئراً هو أن تبادر بضربة وقائية ضد خصمك وتَصِمّه بأن لا يُولي الحقيقة أيّ اعتبار، فيتضمن ذلك أنّه مهما يقلّ فيما بعد فلن يثق به أحد".⁽²⁸⁾ ومغالطة عمرو بن العاص مغالطة مبنية على إظهار معلومات خاطئة عن شخص (وفد المسلمين) بغرض تشويه سمعة ما قد يقوله لاحقاً، فهي إذن صورة من مغالطات التلوّث أو الإهانة، والصورة المنطقية لهذه المغالطة هي:

مقدمة 1: زيد يقول بالدعوى (س).

مقدمة 2: زيد له تاريخ سيء.

النتيجة: إذن الدعوى (س) خاطئة.

ولا تزال هذه الأغلوطة مستمرة إلى اليوم عند الحروب الدعائية بين الدول وبين الخصوم السياسيين، ومن أهمّ تمظهراتها قلق الانتظار، يقول ليدل هارت: "فلا شيء يرهق الإنسان كالانتظار بقلق، وإذا ما قرّر الرجال شيئاً فضّلوا تحمّل الألم على انتظار وقوعه".⁽²⁹⁾ وعليه فالتسميم عن طريق إثارة القلق النفسي من أخطر الأعراض التي تواجهها الجيوش الغازية، وكل ذلك بغرض إضعافها، ويمكن عدّه "عنف من دون عمل

27- أبو عمر محمد عبد الله الزغي، أصول المناظرة وروائع المناظرات، مرجع سابق، ص 78.

28- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، مرجع سابق، ص 83.

29- ليدل هارت، (2000)، الاستراتيجية وتاريخها في العالم، تر: الهيثم الأيوبي ط4، دار الطليعة، بيروت،

عنيف".⁽³⁰⁾ فهذا النوع من التسميم هو في المقام الأول معلومة مربكة تضيف عناصر جديدة إلى شخص أو حدث ما مرتبط بواقع الحال.

بناء على ما سبق، تبدو طرق التسميم كثيرة، ويعد هذا النوع من التفكير حاذقا ومضللا غايته الإفحام والتسلط باستعمال سلطة القول.

3-4- السؤال الملعوم Loaded question

هي مغالطة غير صورية تتكرر في عديد الخطابات والنقاشات والمناظرات، وهي "أن يطرح الشخص سؤالاً يتضمن بطريقة خفية فرضيات ومقدمات غير صحيحة، بحيث أي جواب يقدمه الطرف الآخر يستلزم اعترافه مسبقاً بتلك المقدمات الخفية".⁽³¹⁾ فهذا السؤال يحتوي على فخٍّ خفيٍّ، يجبر المتلقي على الاعتراف بشيء ما على نحو ما هو في قول قائل: هل توقفت عن ضرب أبنائك؟ فالسؤال يتضمن فرضيات غير صحيحة، فتكون إجابة الخصم تستلزم هذه الفرضيات، والفرضية الضمنية في السؤال هي ضرب الأبناء، فأياً كانت إجابة الخصم، نعم أو لا، فقد أقرّ بالضرب. أو كقول صحفي لمسلم: هل توقفتُم أيّها المسلمون عن دعم الإرهاب؟ فإنّ قال نعم فقد أقرّ بعدم الدّعم في الوقت الحالي، ولكن أقرّ أيضاً بالدّعم السابق من حيث لا يشعر، وإن قال لا فقد أقرّ بهما جميعاً، إذن هو سؤال ملعوم واستدلال يستخدم في تضليل الخصم، ومن أمثلته المألوفة أيضاً: ألا تزال على رجعتك في تحريم التصوير؟ فإن قلت: (بلى)، فقد أقررت على عدم تغيير فتواك، ولكن أقررت برجعتك ضمناً، وإن قلت (لا) فقد بيّنت فتواك، ولكن أقررت

30- ينظر: كلود يونان، (2010)، التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي، (د ط)، دار النهضة العربية، بيروت، ص 109.

31- يوسف صامت بوحايك، (2018)، رجل القش، "الحشو المنطقي للدليل المختصر للمغالطات المنطقية والانحيازات الإدراكية، ط 1، دار شفق للنشر والتوزيع، الكويت، ص 74.

أَنَّكَ كُنْتَ رَجَعِيَا، وَعَلَيْهِ "فَالسُّؤَالُ يَسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ وَاحِدٍ يَفْتَرِضُ أَنَّ لَهُ ثَانِيَا، بَيْنَمَا يَحْتَاجُ هَذَا الْاِفْتِرَاضُ الْأَوَّلُ غَالِبًا لِلْإِثْبَاتِ".⁽³²⁾

إِنَّ الْغَمُوزَ وَالْإِدْعَاءَ فِي السُّؤَالِ الْمَلْغُومِ أحيانًا يَكُونُ مَقْصُودًا، فَالْمُحَاوَرُ الَّذِي يَحَاوِلُ فَرَضَ شَيْءٍ مَا عَلَى خَصْمِهِ، يَعِي غَالِبًا أَنَّ لِلْكَلِمَاتِ مَعَانِي مُتَعَدِّدَةً، كَمَا لَهَا دَلَالَاتٌ مَكْتَفَى، وَحَيْثُ يَشْعُرُ الْخَصْمُ بَغْمُوزِ هَذَا الْإِدْعَاءِ، يَكُونُ قَدْ حَصَلَ لَهُ ارْتِبَاكٌ فِي ذَهْنِهِ، وَيَتَوَجَّبُ عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ: مَا الَّذِي يُمْكِنُ أَنْ يَعْنِيَهُ هَذَا السُّؤَالُ؟ وَحِينَ يَتِمَّ تَحْدِيدُ الْاِفْتِرَاضَاتِ قَدْ يَجِدُ لِنَفْسِهِ تَحْدِيدًا مُبَرَّرًا، لَكِنْ هَذَا لَا يَعْنِي أَنَّ الْمُبَرَّرَ يَكُونُ صَائِبًا، وَبِالتَّالِي قَدْ يَقَعُ فِي مِغَالَطَةِ السُّؤَالِ الْمَلْغُومِ (الْمُشْحُونِ).

وَالْهَدَفُ مِنْ مِغَالَطَةِ السُّؤَالِ الْمُشْحُونِ "اتِّهَامُ الطَّرَفِ الْآخَرِ وَتَضْلِيلُهُ لِيُعْتَرَفَ دُونَ أَنْ يَحْسَنَ بِمُقَدِّمَاتٍ لَا يُؤْمِنُ بِهَا بِطَرِيقَةٍ تَخْدُمُ نَتَائِجَ الْمُتَكَلِّمِ".⁽³³⁾ لِأَنَّهُ سُّؤَالُ مُرَكَّبٍ يَنْطَوِي عَلَى بَدِيلَيْنِ اثْنَيْنِ عَلَى الْأَقْلَ بِشَكْلِ يُوَقِّعُ الْمَجِيبَ فِي الْغُلْطِ مَهْمَا كَانَ جَوَابُهُ خُصُوصًا عِنْدَمَا نَطَالِبُهُ بِالْإِجَابَةِ بِنَعَمٍ أَوْ لَا.

فَلَوْ سَأَلْتُ: أَأَقْلَعْتُ عَنِ التَّدْخِينِ؟ فَالسُّؤَالُ هُنَا يَقْتَضِي أَنَّ الشَّخْصَ يَدْخُنُ أَوْ عَلَى الْأَقْلَ دَخَنَ سَابِقًا، وَمَا دَامَ الْاِقْتِضَاءُ الْكَاذِبُ يَفْتَرِضُ أَنَّ الْمَخَاطَبَ دَخَنَ، فَالسُّؤَالُ يَقْتَضِي الْجَوَابَ بِنَعَمٍ أَوْ لَا، فَلَوْ أَجَابَ (بِنَعَمٍ) تَوَقَّفْتُ عَنِ التَّدْخِينِ؛ فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ كَانَ يَدْخُنُ، وَلَوْ أَجَابَ (بَلَا) لَمْ أَتَوَقَّفْ عَنِ التَّدْخِينِ، فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ كَانَ يَدْخُنَ، فَالسُّؤَالُ مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ لَا يُمْكِنُ أَنْ نَجِيبَ عَنْهُ مُبَاشَرَةً دُونَ اسْتِلْزَامِ الْكَذْبِ أَوْ عِلَاقَةِ تَنْفِيهِ.⁽³⁴⁾ هَذَا لِأَنَّ السُّؤَالَ الْمُشْحُونِ لَيْسَ سُّؤَالَ عَادِيًا وَبَسِيطًا؛ بَلْ يَتَرَكَّبُ مِنْ عِدَّةِ أَسْئَلَةٍ مُشْحُونَةٍ عَلَى أَنَّهَا سُّؤَالٌ وَاحِدٌ.

32- جُولِيَانُ بَاجِينِي، (2010)، حِجَجٌ فَاسِدَةٌ تَجْعَلُنَا نَبْدُو أَغْيِيَاءَ، تَر: عِمَادٌ صَبْحِي، ط1، الْمَرْكَزُ الْقَوْمِيٌّ لِلتَّرْجَمَةِ، الْقَاهِرَةُ، ص248.

33- الْمَرْجِعُ نَفْسُهُ، ص74.

34- حَافِظُ إِسْمَاعِيلِي عَلَوِي، التَّدَاوِلِيَّاتُ "عِلْمُ اسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ" مَرْجِعٌ سَابِقٌ، ص386.

والحلّ مع هذه أسئلة أنّ المرء عندما يواجه هذا السؤال المشحون، يتوجب عليه أن يحلّل مكوناته ثم يجيب عن السؤال المضمّر أو يناقشه أو يفنده: أي "استخراج المقدمة الخفية وإنكار صحتها مباشرة بحيث يسقط أيّ معنى للسؤال، لأنّ هذه الأسئلة في الحقيقة مركبة من سؤالين، أحدهما يتبع الآخر، وما يقوم به الشخص هو الجواب في مكانك عن السؤال الأول وسؤالك مباشرة عن السؤال الآخر بناء على جوابه هو على السؤال الأول".⁽³⁵⁾ ويكفي في الشواهد السالفة الذكر أن يجيب المحاور بالتالي:

- أنا لم أضرب أبنائي.

- نحن المسلمين لم ندعم الإرهاب.

- أنا لم أفت بتحريم التصوير.

- أنا لم أدخن مطلقاً.

والصورة المنطقة لهذه المغالطة هي:

مقدمة 1: شخص يطرح سؤالاً (س).

مقدمة 2: السؤال (س) يتضمن معلومة خفية كمقدمة متفق عليها.

النتيجة: أيّ جواب عن السؤال يقرّ ضمناً بالمقدمة الخفية.

وتأسيساً على ما سبق يمكن عدّ أسلوب السؤال المشحون أو مغالطة السؤال المخداع أو ما يسمّى أيضاً مغالطة الافتراض المسبق أسلوباً مضللاً لكونه ليس محاولة للحجاج؛ بل محاولة لتضليل المتلقي حتى يقبل قضية من خلال تضمينها في سؤال، ويمكن عدّها أيضاً تقنية لممارسة الخداع والتضليل من طرف المحاور بهدف إيقاع خصمه

35- يوسف صامت بوحايك رجل القش، مرجع سابق، ص 74.

في زلة أو غلطة، وتعطيل سير قواعد الحوار النقدي المعقول. "فالسؤال المملوم يمكن طرحه داخل عدة أطر منطقية ضمنية".⁽³⁶⁾

5-4- رجل القش Straw man

كثيرا ما يلجأ المغالطون إلى المفارقات اللفظية، فتكون حججهم ليس لها إلا مظهر الحجج وهي في الواقع هروب من الحقيقة، ومغالطة رجل القش نوع من المغالطات التي يستخدم فيها التضليل بدلاً عن الدليل، وتحدث هذه المغالطة حينما يتجاهل صاحب الحجة الوضع الحقيقي لخصمه في مسألة معينة، ويصوغ "تشويه موقف الخصم على نحو يسهل الهجوم عليه، بحيث يهاجم وجهة نظرا وجود حقيقي لها".⁽³⁷⁾ أي بناء دليل وهي متخيّل، يقوم على تحريف حجة الطرف الآخر بشكل يسهل نقضها ويضع الطرف الآخر في موقف ضعيف، وبالتالي يرتكب أغلوطة التفكير المضلل. ومن أمثلة هذا الاستدلال الخاطئ، قال أحمد: أرى أنّ السيارات ذاتية القيادة الفردية أكثر أمانا وأتمنى رؤية المزيد منها في المستقبل، فيرد عليه خالد: استغرب كرهك الواضح لسائقي السيارات الجماعية، لماذا تتمنى أن يصبحوا جميعا مشردين وبلا عمل. فيرد أحمد: أنا لم أقل شيئا من هذا القبيل، إنّك قد قمت بتحريف موقفى، والرّد الوحيد المعقول هو أن تقول بكل هدوء ليس ذلك ما قلته.

وأغلوطة رجل القش نمط من التفكير يفسر الأحداث بعدها جزءا من مؤامرة كبرى، أو ما يسمى بنظرية المؤامرة. مثال: يناقش المتحدث الأسباب الحقيقية التي تؤدي إلى مشكلات معينة في المجتمع، فيضع وهما اسمه المؤامرة ثم يفسّر الأحداث على أساسها، وهي في الحقيقة سفسطة "تقوم على تهوين الرأي الذي تتمّ محاورته وذلك بإعادة بنائه على نحو يصير من اليسير نقضه وبيان تفاهته، بحيث يكون من ينسب إليه هذا الرأي كرجل القش الذي يتهاوى بضربة واحدة توجي بأنّ منتقد الفكرة قد أقام

36- ريمون بودون، (2002)، فن إقناع الذات بأفكار هشة ومشكوك فيها وخاطئة، تر: نبيل السعد، ط1، دار العالم الثالث، القاهرة، ص207.

37- م.نبيل براون وستيوارت م.كيلي، طرح الأسئلة المناسبة "مرشد للتفكير الناقد"، مرجع سابق، ص186.

الحجة على فسادها فعلا. إنّ الأمر يتعلق إذن بتحريف وتزييف يطال رأي الطرف الذي تتمّ محاورته قصد الاقتدار على كسره بأيسر سبيل".⁽³⁸⁾ وهذا المسلك معيب في الحوارات الفكرية وغير الفكرية التي تجري بين الناس، "بأنّ يجلب المحاور حجة هشة سهلة المنال غير حجة الخصم الحقيقية وينسبها إلى الخصم، ثم يعمل فيها معاول الهدم والتفويض، فيضفي انطبعا زائفا بأنّه نجح في التنفيذ ويعلن انتصاره على خصمه، فقد يتمّ ذلك عن عمد فيكون حيلة قدرة وينمّ عن الخبث وسوء النية والافتقار إلى الأمانة في الجدل، وقد يتمّ عن غير عمد فينمّ عن الغفلة أو الجهل ويكون في كل الأحوال مضیعة للوقت وإهدارا للجهد في معركة وهمية غير ذات صلة وترهة خارج عن الموضوع.⁽³⁹⁾ ومثال هذه الصورة قول (س): من العنصرية التفريق بين البشر بمجرد لونهم وعرقهم، فيرد (ع): يعني أنت تريد أن تغرق بلادنا في السرقة والفساد والجرائم بترك الحرية للاثنين الأفارقة، هذا أمر لا يقبله أيّ حريص على سلامة وطنه.

ويقول تريسي بويل في كتابه (التفكير النقدي) دليل مختصر، وهو يتحدث عن تجاهل صاحب الحجة الوضع الحقيقي لخصمه، ويشبهه برجل من القش من السهل تحطيمه فيقول: "فلنُفَرِّضْ أَنَّ (جونز) داعية لتشريع القتل الرحيم، وأنّ (جونز) يعتقد أنّ من حقّ المريض بمرض لا شفاء منه قانونا أن يختار إنهاء حياته في حال بلغت معاناته حدّا لا يحتمل معه الحياة، ووافق الأطباء على أنّ الحالة الصحية للمريض سليمة، وأنّه اتخذ القرار بإرادته، بينما يردّ (سميث) وهو خصم (لجونز): كيف تدعم منح الأطباء الحق في إنهاء حياة شخص لمجرد أنّهم قرّروا أنّ من الأفضل له إنهاء حياته، لا يملك أحدٌ هذا الحقّ أمام حياة شخص آخر، ويجب ألاّ يقتل الطبيب مريضه".⁽⁴⁰⁾

إنّ (جونز) في نظر (سميث) يدعو أن يمتلك الطبيب الحقّ في إنهاء حياة مريضه، إذا ما رأى أنّ من الأفضل للمريض إنهاء حياته، ولكن هذا ليس موقف (جونز)، فهو يقول إنّّه ينبغي منح المريض الحقّ في اختيار الموت الرحيم، والطبيب هو من يحقن المريض

38- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، مرجع سابق، ص 33.

39- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، مرجع سابق، ص 164.

40- تريسي بويل وجاري كمب، التفكير النقدي دليل مختصر، مرجع سابق، ص 433.

ولكنّه لا يفعل ذلك إلّا بطلب من المريض، وبالتالي لم يصل (سميث) إلى الموقف الحقيقي (لجونز)، وبدلاً من ذلك يسيء تفسيره ويعدّه موقفاً ضعيفاً رغم أنّ هذا ليس ما يدعو إليه (جونز).

والشكل المنطقي لهذا الاستدلال الخاطئ كما يلي:

مقدمة 1: (س) يطرح فكرة (ق).

مقدمة 2: (ع) مرتكب المغالطة يقوم بعارضة فكرة (ق).

النتيجة: (ع) يخلص إلى كون الدعوى (ق) باطلة.

إنّ مرتكب أغلوطة رجل القش يقوم على تحريف الوضع بطرق عديدة: "فقد تقدّم الجوانب الأضعف من نظرية الخصم وتظاهراً بأنك تفند النظرية من كل جوانبها، وقد تقدّم حجة الخصم في صورة مضعّفة أو مبسطة، وقد تشوّه أو تحرّف حجة الخصم أو تسيء تمثيلها، وقد تختلق شخصاً وهمياً تنسب إليه أقوالاً وأفعالاً وعقائد وتظاهر بأنّه يمثل الطائفة التي ينتمي إليها الخصم".⁽⁴¹⁾ وبطلان هذا الفعل الأخير لا غبار عليه، "إذ لا ينبغي أن نحمل المذاهب الكبيرة العديد الأنصار والمعتنقين أخطاء قليلين أو أشخاص مفردين".⁽⁴²⁾ ومثال هذه الصورة قول (س) أعرف أنّ شخصاً كان مبدأه في الحياة المنفعة أولاً، ولم يكن يقيم للقيم وزناً، وقد كان من أنصار هذا المذهب الذي تدافع عنه.

إنّ مقتضى هذه العملية أن يبدل المحاور حجة خصمه ودحضها انطلاقاً من فكرة مشوهة ليخرج بها إلى معنى يسهل عليه إبطال كلام خصمه، أي مرتكب الأغلوطة يصنع رجلاً من القش ثم يعاركه بالكلمات معتقداً أنّه يعارك شخصاً حقيقياً.

41- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، مرجع سابق، ص 164.

42- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، مرجع سابق، ص 35.

إنّ المغالطات المنطقية ترتبط بمناورات سفسطائية، وتحليل هذه المناورات التغليطية لا يكون إلّا في إطار تداولي معين، وهي إلى جانب هذا تُعدُّ خرقاً لقاعدة من قواعد الحوار، كونها تشتمل أخطاء في عملية التدليل، فمنطق المغالطة استخدام الاستدلال والتفكير غير الصحيح أو الأفعال الخاطئة في التعليل وبناء الحجة، ومن هذه المغالطات التي تستخدم هذا النوع من الاستدلال الزائف أغلوطة المنحدر الزلق أو الاستقراء العبيث أو أغلوطة المستوى المائل، وهي واحدة من أكثر الأغاليط شيوعاً وضرراً، ويعني المنحدر الزلق "أنّ فعلاً ما ضئيلاً أو تافهاً بحدّ ذاته، سوف يجزّو رءاه سلسلة من العواقب تؤدي في نهاية المطاف إلى نتيجة كارثية، وكل حدث في هذه السلسلة هو نتيجة ضرورية لما قبله وسبب للحدث الذي يليه".⁽⁴³⁾ ومثال ذلك قول أحد السياسيين منتقدا حرية التعبير: نعطيهم اليوم حرية التعبير وغدا ينتقدون الوزير، ثم يحرضون الجماهير، لذلك لن نسمح بحرية التعبير. وهكذا ترفض هذه الفكرة من البداية بسبب نتائج محتملة متخيلة، وبدون أيّ دليل يقيني لافتراض سلسلة العواقب الوخيمة التي ستنتج عنها، وعليه فإنّ "افتراض خطوات مقترحة سوف يسبب سلسلة من الحوادث المستهجنة والخارجة عن نطاق السيطرة على الرغم من وجود إجراءات تحول دون وقوع مثل هذه السلسلة من الحوادث".⁽⁴⁴⁾ وتستند هذه الأغلوطة إلى فكرة أنّ اتخاذ إجراء (1) سيجرنا إلى منحدر زلق، ويقودنا حتماً إلى إجراء (2)، وبالطبع الإجراء (2) أمر مروع، لذلك لم نرغب في أن ينتهي بنا المطاف إلى الإجراء (2)، فمن الأفضل عدم اتخاذ الإجراء أبداً. وأفضل سلاح لتفكيك مغالطة المنحدر الزلق هو التفكير النقدي الذي سيسمح بإدراك أنّه لا توجد علاقة خطية بين (1) و(2)، ويتوجب علينا أن نضع في اعتبارنا أنّه لا يمكننا التنبؤ بحدث مستقبلي قد لا يقع أبداً. فأية خطوة واحدة في المنحدر الزلق كافية بأن

43- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، مرجع سابق، ص 125.

44- م. نيل براون وستيوارت. م. كيلى، طرح الأسئلة المناسبة، مرجع سابق، ص 180.

تتسبب في كل ما يتبعها إلى أن يجد الإنسان نفسه في الهاوية، وبالتالي "تتطلب أن تذكر المجادل بأن الاستنتاج لا يقوم فقط على وجوب أن يكون المقدم ضرورياً".⁽⁴⁵⁾

وقد سميت هذه الأغلوطة بـ(أنف الجمل)، وسبب تسميتها هو أن أحد رعاة الإبل قال لنفسه: "إذا تركت ذلك الجمل يدس أنفه في خيمتي ليتقي برودة الليلة، فإن ذلك يجعله يدس رأسه كله فيما بعد، ثم لا يلبث أن يدس رقبتة، وسرعان ما أجد الجمل برمته وقد اقتحم عليّ الخيمة".⁽⁴⁶⁾ هكذا شيد الراعي في خياله إجراءات تنتهي فيها الأحداث أسوأ نهاية، وتفضي إلى كارثة تدفعه إلى أن يتخذ الخطوة الأولى: أي: إذا سمح بتشريع [الشيء المقبول] هو دس الجمل أنفه في الخيمة، فسوف يضطر إلى تشريع [الشيء السلبي] لاحقا، وهو وجود الجمل بكامله داخل الخيمة، وعليه فالراعي تنبأ بأسوأ العواقب، ويمكن أن نطلق على المنحدر الزلق بمغالطة التوقعات الكارثية.

والصورة المنطقية لهذه الأغلوطة هي:

وقوع الحدث (ج).

إذن لا شك أن الحدث (د) سيقع.

وما دام الحدث (د) قد وقع، فلا شك في أن الحدث (ن) سيقع.⁽⁴⁷⁾

مثال: لا تقتني بطاقة ائتمانية، إذا اقتنيتها فسوف يغريك إنفاق المال، وبالتالي ستتخطى الحد الأقصى لبطاقتك الائتمانية وستكون عليك ديون ضخمة، وينتهي بك الأمر إلى الإفلاس والفشل في الحياة. فالأغلوطة تفترض أن فعلا ما (اقتناء بطاقة ائتمانية) رغم حجم تأثيره الضئيل، سوف يجر سلسلة من الأحداث إلى أن ينتهي إلى كارثة كبرى (الإفلاس والفشل في الحياة) سببها الحدث الأول، وفي هذه الحالة يجب "التدقيق في العلاقة بين خط الانطلاق وخط الوصول، فالحدث الأول قد يكون سيئا ومن ثم وجب

45- حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، مرجع سابق، ص 420.

46- عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، مرجع سابق، ص 127.

47- رشيد الراضي، الحجاج والمغالطة، مرجع سابق، ص 44.

تلافيه".⁽⁴⁸⁾ مثال: إن لم تجتهد لن تنجح في الامتحان، وإن لم تنجح في الامتحان لن تستطيع دخول الجامعة، وإن لم تستطع دخول الجامعة لن تجد وظيفة، وإن لم تستطع أن تجد وظيفة سوف تكون عاملَ نظافةٍ، هل تريد أن تكونَ عاملَ نظافةٍ؟ إذًا، يجب أن تجتهد. وهنا ستجد نفسك تنزلق إلى الأسفل بشكل متسارع بلا سيطرة، وكلّما كان المنحدر أعمق كان التوقف أصعب.

قد تستخدم هذه المغالطة بشكل مجازي فيطلق عليها — (تأثير الدومينو) و"الاعتقاد أنّ حدوث شيء ما سيؤدي إلى وقوع سلسلة من الأحداث غير السارة حتماً كقطع الدومينو التي إذا سقطت إحداها أسقطت التي تليها، وقد استخدمها السياسيون الأمريكيون إبان حرب فيتنام لتبرير تدخل بلادهم في الحرب كما هو معروف: إذا سمحنا لدولة واحدة بالسقوط في برائن الشيوعية، فسيؤدي هذا -مثل تأثير الدومينو- إلى سقوط دولة بعد الأخرى بشكل قاطع حاسم لا رجوع فيه".⁽⁴⁹⁾

وقد يستخدم مصطلح "الجانب المدبّب من الوتد كاستعارة أخرى بدلا من المنحدر الزلق، فما أن يوضع الجانب المدبّب من الوتد في الشّق، حتى يخترقه أكثر فأكثر، إلى أن يخترقه الجانب العريض تماما، ويمثل الجانب العريض من الوتد تلك النهاية غير المرغوبة".⁽⁵⁰⁾

7-4- الرنجة الحمراء red herrings

إنّ المغالطات حجج زائفة ومضللة، على الرغم من أنّها تبدو حججا حقيقية إلّا أنّها لا تدعم الاستنتاج، إذ تعتمد على منطق تضليلي بتعبئة الذوات السامعة بالمتخيلات. وتُعَدُّ أغلوطة الرنجة الحمراء أحد الأساليب المراوغة في الخطابات، فهي "حيلة كان يستخدمها المجرمون الفارون لتضليل كلاب الحراسة التي تتعقبهم وذلك بسحب سمكة

48- حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، مرجع سابق، ص420.

49- نايجل واربرتون، (2018)، التفكير من الألف إلى الياء، تر: هالة عباس وأسامة عباس، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، ص85-86.

50- نايجل واربرتون، التفكير من الألف إلى الياء، ص163.

رنجة حمراء عبر مسار المطاردة، فتجذب الكلاب رائحتها الشديدة عن رائحة الطريدة الأصلية. وقد استعيرت للتعبير عن كل محاولة لتحويل الانتباه عن المسألة الرئيسية في الجدل، وذلك بإدخال تفاصيل غير عامة، أو بإلقاء موضوع لافت أو مثير للانفعالات، وإن يكن غير ذي صلة بالموضوع المعني، ولا يشبهه إلا شهاً سطحياً، فيقذف الخصم خارج مضمار الحديث.⁽⁵¹⁾ وهذا ما يخلق انقطاعاً بين المسألة المطروحة ومسار الحوار، وبالتالي انزلاق الحجة وانحرافها عن مسارها، وصورة انقطاع الصلة هذه "تدفع الغافل للسير في الطريق الخطأ".⁽⁵²⁾ وَلَنَضْرِبَ مثالا بأحد السياسيين الذي يسأل عن سبب أخذه الرشوة، وهو سؤال مباشر يستدعي الإجابة بـ(نعم) أو (لا)، فتأتي إجابته بقوله: بدلا من الاعتراض عليّ لأنني أخذت رشوة بسيطة نتيجة تعبي، تكلّم عن الوزراء الذين سرقوا البلاد والعباد، فأصبحنا نعيش في هذا التخلف.

وفي هذا المثال تجنب السياسي الإجابة عن السؤال المحدّد المطروح أمامه، ومن السهل أن ينسى السائل موضوع السؤال الأول، فقد رمى السياسي سمكة رنجة حمراء (فساد الوزراء) أشدّ رائحة من موضوعه البسيط (رشوة بسيطة) لتغيير الموضوع وتجنب اللّوم، رغم أنّ الموضوعين منفصلان، فقيام شخص آخر بذبذب أكبر من ذنبك لا يجعل ذنبك مشروعا.

وتستخدم أغلوطة الرنجة الحمراء بشكل كبير في الروايات البوليسية وروايات الغموض، مما يجعل الأحداث أكثر إثارة من عملية تضليل القارئ بأدلة كاذبة لتشتيت انتباهه عن تحديد الجاني الحقيقي، وعلى سبيل المثال الرواية البوليسية "شيفرة دافنشي" (53) "the Da Vinci code" للروائي دان براون Dan Brown، حيث يوظف شخصية الأسقف أرينغاروزا كمثال على الرنجة الحمراء، تجعل القارئ يشتبه في أنّه المدبّر الحقيقي

51- آرثور شوينهاور، فن أن تكون دائماً على صواب، مرجع سابق، ص 69. وينظر عادل مصطفى، المغالطات المنطقية، مرجع سابق، ص 63.

52- نايجل واربرتون، التفكير من الألف إلى الياء، مرجع سابق، ص 153.

53- دان براون، (2004)، شيفرة دافنشي، تر: سمة محمد عبد ربه، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان.

للمؤامرة، ليكتشف القارئ لاحقا أنه بريء، ويستخدم براون هذه الرنجة الحمراء بحكمة لإلهاء القارئ عن الشرير الحقيقي، وتضعه في حالة تخمين حول الاحتمالات حتى النهاية، ويمكن القول إنها نوع من التعمية، فكلما كانت التعمية ماهرة كلما كانت فعالة في تشتيت انتباه القارئ.

7- الخاتمة

إنّ البحث في المغالطات يقودنا إلى تنبيه المتلقي لضرورة تعلم أدوات التفكير النقدي ليدحض ويبطل مثل هذه الاستدلالات وتكوين البديل الأصوب كون تلك الاستدلالات قياسات مموّهة لها شكل صحيح في ظاهرها ولكنها تؤدي إلى نتائج باطلة. وعلى ذكر ما عفى من القول فيما يخص المغالطات المذكورة في هذه الورقة البحثية يمكن الوقوف على النتائج التالية:

- تستخدم المغالطات في الجدالات والمحاورات والمناظرات وبخاصة في الصراعات الفكرية والعقدية والإيديولوجية ومن آلياتها: التموية، والتعمية، والاختلاق، والتشويه...

- مغالطة الشخصنة تجعل المحاجج يدور على الهامش ويبحث عن السقطات لصاحب الحجة دون فحص للقضية، وهي إلى جانب ذلك تُعدّ طعنا في شخص قائل الحجة بدلا من تفنيد قوله.

- كلّ مغالطة منطقية مرتبطة بمناورة سفسطائية كما هو في (تسميم البئر)؛ إذ يقوم بها المحاجج قبل أن يبدأ النقاش، فهو يشوّه صورة صاحبه قبل أن يتحدث.

- مغالطة (السؤال الملوغوم) خطاب مزدوج غايته إفحام الخصم وتضليله وقيادته بصورة مخادعة إلى حيث لا يشاء، بل حسبما يريده المضلل، وكلّ سؤال ملغوم يتوجب تفكيكه إلى أجزاء.

- المغالطات آلية تضليلية ترمي إلى الإيقاع في الغلط والهروب من القضية الأساسية إلى أمور جانبية غير ذات أهمية (رجل القش)، إذ يعتمد المحاجج إلى عرض حجة الطرف الآخر

بعد تشويهها إلى صورة أخرى أو هن من صورتها الأصلية التي قالها صاحبها والهدف من ذلك كله هي هزيمته أكثر من أن يهدف إلى التفكير العقلاني.

- بعض المغالطات تبتعد عن النقطة المحورية للقضية المطروحة لتخلق منحدرًا زلقًا من الأحداث الافتراضية، وبالتالي ترفض الفكرة منذ بدايتها بسبب نتائج احتمالية مفترضة.

- تبين أن مغالطة الرنجة الحمراء هي نوع من تشتيت انتباه الطرف الآخر عن الموضوع الأصلي للحوار، فهي من قبيل الانحراف عن مسار الحديث وهي من أمهر الخدع التي يستخدمها روائيو الجريمة بتحويل الأدلة الحقيقية إلى أدلة مضللة.

ويبقى البحث في هذا الموضوع مفتوحًا ومفعماً بجاذبية التماهي بين التنظير والممارسة.

المصادر

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

المراجع

المراجع العربية والمترجمة

- 1- إبراهيم أنيس وآخرون، (2004)، المعجم الوسيط، ط1، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
- 2- ابن عبد ربه (أحمد بن محمد الأندلسي)، (1983)، العقد الفريد، تح: عبد المجيد الترحيبي، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 3- ابن فارس (أبو الحسن بن زكريا)، (1979)، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، ط1، ج4، دار الفكر، القاهرة.
- 4- أبو عمر محمد عبد الله الزغي، (2011)، أصول المناظرة وروائع المناظرات، ط1، دار التقوى، القاهرة.
- 5- آرثر شوينهاور، (2014)، فن أن تكون دائما على صواب، تر: رضوان العصبية وحسان الباهي، ط1، دار الأمان، الرباط.
- 6- أرسطو، (1990)، منطق أرسطو، تح: عبد الرحمن بدوي، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان، وكالة المطبوعات الكويت
- 7- باتريك شارودو، دومينيك منغنو، (2008)، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القاهر المصري، حمادي صمود، (د ط)، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس.
- 8- تريسي بويل، جاري كمب، (2015)، التفكير النقدي دليل مختصر، تر: عصام زكريا جميل، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- 9- جميل صليبا، (1982)، المعجم الفلسفي، مج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
- 10- جوليان باجيني، (2010)، حجج فاسدة تجعلنا نبذو أغبياء، تر: عماد صبحي، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

- 11- حافظ إسماعيلي علوي، (2011)، التداوليات، علم استعمال اللغة، ط1، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
- 12- حسان الباهي، (2004)، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب.
- 13- دان براون، (2004)، شيفرة دافنشي، تر: سمة محمد عبد ربه، ط1، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان.
- 14- رشيد الراضي، (2010)، الحجاج والمغالطة "من الحوار في العقل إلى العقل في الحوار"، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا.
- 15- ريمون بودون، (2002)، فن إقناع الذات بأفكار هشة ومشكوك فيها وخاطئة، تر: نبيل السعد، ط1، دار العالم الثالث، القاهرة.
- 16- عادل مصطفى، (د ت)، المغالطات المنطقية طبيعتنا الثانية وخبزنا اليومي، فصول في المنطق الصوري، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
- 17- عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، (1975)، ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، ط1، دار القلم، بيروت.
- 18- كلود يونان، (2010)، التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي، (د ط)، دار النهضة العربية، بيروت.
- 19- ليدل هارت، (2000)، الاستراتيجية وتاريخها في العالم، تر: الهيثم الأيوبي ط4، دار الطليعة، بيروت.
- 20- م. نيل براون وستيوارت م. كيللي، (2009)، طرح الأسئلة المناسبة "مرشد للتفكير الناقد"، تر: نجيب الحصادي ومحمد أحمد السيد، ط1، المركز القومي للترجمة، القاهرة.
- 21- نايجل واربرتون، (2018)، التفكير من الألف إلى الياء، تر: هالة عباس وأسامة عباس، ط1، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت.
- 22- يوسف صامت بوحايك، (2018)، رجل القش، "الحشو المنطقي للدليل المختصر للمغالطات المنطقية والانحيازات الإدراكية، ط1، دار شفق للنشر والتوزيع، الكويت.

- 23- John Locke, (1689), an essay concerning human unders tanding, the sixteenth edition, volume II, London.
- 24- M.L'ablé, J.Veriolles, (1866), cours élémentaires de rhétorique et d'éloquence, cinquième édition, libraire éditeur, Paris,.